رائد الرواية العربية الحديثة يرحل عن 95 عاماً

نجيب محفوظ: بلاغة الرواية في عالم الشعر والأديب الذي نضج على يديه الفن الروائي العربي

ابراهيم درويش *

■ وفاة الاديب العربي نجيب محفوظ (1911ـ 2006) تعلم نهاية مرحلة وعهد، وتنهي حياة ريادي كبير اسس لثقافة الرواية في العالم العربي، فقد جاء نجيب محفوظ بهذا الفن الجديد، الغريب على الذائقة العربية والذي كان يتشكل منذ نهايات القرن التاسع عشر وجعله في مركز الفعل الابداعي العربي، ولم يتمكن الا عبر المثابرة والصبر والعمل المتواصل، فهو اول اديب عربي يكرس نفسه للكتابة والتأليف مع انه احتفظ طوال حياته بوظيفته الرسمية سواء في وزارة الاوقاف او في مؤسسة الرقابة السينمائية.

وقد تمكن نجيب محفوظ من خلال دأبه الكبير على اختصار المسافات الروائية الفاصلة بين الفعل والهواية الى التكريس والكتابة، واصبح نجيب محفوظ بعد صدور ثلاثيته الشهيرة عام 1956 الجسر الذي عبر عليه الروائيون العرب من المحيط الى الخليج، وجاء نجيب محفوظ في رياديته وتفوقه الروائي ليعيد للقاهرة ومصر مكانتها الادبية التي بدأت تفقدها منذ الخمسينيات من القرن الماضي بعد تحول مركز الفعل الشعري الى بغداد ومنها الى بيروت، حيث صادرت هاتان العاصمتان مكانة القاهرة كمركز للفعل والثقافة الشعرية التي اغنت ذائقة العرب لعقود.

انجاز نجيب محفوظ في مجال الفعل الروائي كان وما زال محلا للنقاش، ليس لكونه مثيرا للجدل ولكن لكونه نقاشا تناول معظم القضايا التي قدمها ولامسها محفوظ في اعماله الروائية والتي زادت عن الخمسين عملا، والقارىء لاعماله، يعثر على شمولية في الطرح ورسم ابعاد الحياة الاجتماعية والسياسية في مصر، كما لامست اعماله الجوانب الروحية والفلسفية، ومعضلة الحداثة في العالم العربي. وكان محفوظ قادرا في كل هذا على تأكيد اهمية الرواية باعتبارها صورة عن ازمة الانسان المعاصر، ومع حلول الستينات من القرن العشرين انجز محفوظ مشروعه الحداثي، عندما قدم وحده هذا الفن الادبي وجعله في قلب الحياة الادبية العربية، ويمكن الحديث عن مرحلة ما قبل محفوظ وما بعده، فالمرحلة الاولى كانت مطبوعة بالتردد والتجريب والخوف من تشابك الفعل الابداعي مع المنجز الشعري العربي، اما بعد محفوظ، وتحديدا بعد عمله الملحمي الكبير الذي يزيد عن 300 الف كلمة فقد اصبحت الرواية مكتملة وناضجة وذات علاقة بالسياق العربي، وشجعت هذه الريادية عند الاديب العربي، ادباء عربا لتمثل تجربة نجيب محفوظ واخذها الى مدارات جديدة وفضاءات ارحب.

جاء نجيب محفوظ الى عالم الرواية بعد محاولات تجريبية تمتد على نصف قرن، من محاولات جرجي زيدان في رواياته التاريخية، وعمل محمد حسين هيكل «زينب»، والتجارب التي قدمها توفيق الحكيم، وابراهيم عبدالقادر المازني وطه حسين وعباس محمود العقاد، وحقق منجزه/ ملحمته بعد ثماني اعمال، حيث بدأ كغيره رومانسيا منجذبا ومجذوبا نحو تاريخ مصر الفرعونية التي انجز فيها «رادوبيس» (1943)، و«كفاح طيبة» (1944)، وقبلهما «عبث الاقدار» (1939)، ثم اراد التحول نحو كتابة تاريخ مصر الاسلامية، ولكنه قرر تجنب الموضوع لأن زيدان انجز المهمة قبله، وقرر البحث عن موضوعات واقعية، حيث كتب «خان الخليلي»، و«زقاق المدق» التي ظهرت عام 1954، و«القاهرة الجديدة»، والتي اسست لاتجاه واقعي في الكتابة الرواية عند محفوظ واسست لظهور عمله الملحمي ورواية الاجيال المعروفة الثلاثية «بين القصرين»، «قصر الشوق» و«السكرية»، وهي الثلاثية التي جاءت نتاجا لتكريسه ودأبه المتواصل على الكتابة الذي لم يكن معروفا لدى الكتاب العرب من قبله، وقضى في كتابتها ستة اعوام، وتتحدث عن حياة ثلاثة اجيال في عائلة مصرية من الطبقة المتوسطة، والتي رسمت تاريخ مصر في مرحلة ما بين الحربين، نهاية الحرب العالمية الاولى عام 1917 وانتهت في الاربعينات من القرن الماضي. وهذه الثلاثية لا تعلم على ولادة الفن الروائي في اكتماله ونضوجه ولكن تؤشر لشجاعة الكاتب الذي قدم فنا ادبيا لم يكن بعد محبذا لدى الناشرين او الكتاب قبله الذين كانوا يخشون او يستحون من نشر اعمال روائية طويلة. وتحولت الثلاثية الى قصة نجاح، فهي لم تؤكد ولادة الفن الروائي في تجلياته الكبرى ولكنها قدمت صورة القاهرة التي عرفها وحملها المثقفون العرب معهم عندما زاروا القاهرة لاول مرة، حيث اخذوا يبحثون عن الملامح التي رسمها نجيب محفوظ في عمله ويستجدون ويستعيدون صورة المكان في العالم الروائي وظلاله على الواقع القاهري الحقيقي.

كان نجيب محفوظ يعرف انه بانجازه هذا يتحدى الفعل الشعري الذي حكم المخيلة العربية، وعبر عن الثورات والانتفاضات، والاجهاضات والقتل والدمار وعن المدن المحترقة وحرائق المدن والحقول. وفوق كل هذا قدم نجيب محفوظ لاجيال من كتاب الرواية العربية النموذج الذي كانوا يبحثون عنه، الرجل المكرس نفسه للفن والكتابة، والساهر دوما على تطوير شخصياته وشخصنة الواقع دون ان يسمح لمشاعره، وافكاره ومواقفه السياسية بالتدخل في عوالم شخصياته التي تنوعت بتنوع اعماله الروائية، ومع نهاية مشروع نجيب محفوظ الروائي في الثمانينات من القرن الماضي كان قد لامس كل مناحي الحياة المصرية، حيث قدم القاهرة في تراثها وتاريخها وفتواتها، وثرثرة انصاف المثقفين فيها، ولامس البعد القلق والمتوتر في حياة ابطاله الذين كانوا في بعض الاحيان نصف اخيار ونصف اشرار، كما تشير الى ذلك شخصية سعيد مهران في «اللص والكلاب» (1961) الذي كان وهو المسكون بهاجس الانتقام من الاصدقاء الذين خانوه يتردد بين فعل الايمان، علاقته مع صديقه الصوفي، والحب، علاقته مع البغي، وكلاهما منحه الملجأ الآمن للراحة والتفكير في معضلته قبل ان يتركاه يواجه قدره وحيدا وكلاب السلطة تنهش جسده. ان مقدرة الروائي نجيب محفوظ الذي حاز على جائزة نوبل عام 1988 كانت في الترميز والتشخيص، وفي رسمه البارع لتواتر الاحداث، وهو ما يقدمه عمله الرائع «اللص والكلاب»، وحتى يستطيع تحقيق المنجز الروائي كان محفوظ يختار شخوصه من قاع المجتمع لكي يحلل او يرسم الكثير من الامراض الاجتماعية التي شابت واينعت في داخل مدينته الاثيرة، وهنا تحضر الكثير من الشخوص عن مسؤولي الحكومة الفاسدين، والبوليس السري، والفساد الاخلاقي والاضطهاد وغياب الحرية وحقوق الانسان، ولكنه كان معنيا اكثر في رسم الطريقة التي يسقط فيها ابطاله بالوحل، او يتحولون لضحايا البيروقراطية الرسمية. وكما اشرنا فالاشرار والخارجون او المتمردون في اعمال نجيب محفوظ لم يكونوا بالضرورة يمثلون الخير او الشر كله، ففي دواخلهم كانت هناك لحظات من النور والعودة للوعي والذات.

لم تكن الواقعية الملمح الاهم في اعمال محفوظ، فهو وان بدا في بداياته رومانسيا، وتحول للواقعية، الا انه في «ثرثرة فوق النيل» (1966) التي نشرت قبل عام من هزيمة عام 1967 بدا عبثيا، وفي هذا العمل بالذات نعثر على عوالم من كافكا وبيكيت وجان جينيه، فالرواية هي عن النخبة، انصاف المثقفين الذين يتسولون فشلهم وعزلتهم وعقمهم من خلال الثرثرة المستمرة، وتناول الحشيش، وممارسة الجنس الذي لا معنى له، والذي يوفره حارس القارب او اليخت العجوز، في «ثرثرة في النيل» يخرج القارىء بمشاعر متقلبة، مشاعره رهيبة من الخوف والقلق، وهي تمثل نهاية عبثية للحلم العربي الذي انتهى فعلا بهزيمة ناصر في عام 1967 مع ان علاقة نجيب محفوظ مع الثورة وموقفه منها تظل محلا للنقاش، وروايته «الكرنك» هي صورة عن الفساد السياسي والدولة البوليسية التي ولدت اثناء الثورة المصرية، حيث يتدخل المخبر السري في حياة الافراد ويتلصص عليها ويقوم بملاحقة اليسار المصري وسجنه.

لم يقف مشروع محفوظ الروائي عند هذا الحد، بل ادخل الفعل الروائي في دائرة الميتافيزيقي، حيث جاءت روايته «اولاد حارتنا» لتمثل الصراع بين العلم «عرفة» والايمان «الجبلاوي»، وهي رواية رمزية في كل حركة من حركاتها، وتلاحق هوس الانسان في البحث عن الجنة الارضية او يوتوبيا الفلاسفة، او ارض المعذبين، وكان محفوظ قد نشر الرواية مسلسلة في صحيفة «الاهرام» عام 1959 ولكن الازهر منعها، ونشرها محفوظ لاحقا في بيروت عام 1967، وقد منحته لجنة نوبل جائزتها على هذا العمل الذي وصف بانه «تاريخ روحي للانسانية». الرواية على الرغم من غموضها الرمزي تظل تجريبية، فهي عن العقلانية التي ترفض الايمان الاعمى، وهي ايضا عودة لموضوعات قديمة وفلسفية كان محفوظ يرغب في دراستها ومعالجتها عندما كان طالبا في جامعة فؤاد الاول، وتلميذا لشيخه، استاذ الفلسفة الاسلامية مصطفى عبد الرزاق، وكانت الرواية في رمزيتها الكبيرة تحذر من تصاعد التطرف الذي وقع محفوظ ضحيته عام 1994، عندما طعنه شاب في رقبته ونجا من الموت باعجوبة.

مع اهتمام محفوظ باثر الواقع في تعقيداته على تصرفات اشخاصه، ودفعهم نحو الشر، الا انه في اعمال اخرى ترك للمأساة الفردية الكلمة الاخيرة لتطور العمل الروائي، كما في اعمال مثل «السمان والخريف» (1962) و«الشحاذ» (1965)، هنا في هذين العملين، نعثر على ازمة شخصية للبطلين «عيسى» و«عمر» وهي ازمة داخلية، وليست نتاجا لازمة الواقع المعاصر او الاجتماعي الذي يعيشان فيه، اننا هنا امام نموذجين متمردين رافضين للمجتمع، ويحاولان الخروج من اسره او الانسحاب منه كلية وليس الرد عليه. كما اشرنا في البداية، كان محفوظ عبر العمل الدائم على تشكيل عالم ابطاله، وقلقهم، عزلتهم، اندفاعهم للانتقام، وحسهم بالخيانة بعيدا عن التدخل في مسار ابطاله، ولهذا تبدو عوالم نجيب محفوظ كئيبة وقاتمة، ورمادية.

المسافة التي خلقها محفوظ بينه وبين شخوصه مكنته في النهاية من السيطرة على السرد الروائي، واستخدامه لعكس الواقع المتموج والهادر حوله، المليء بالتغيرات والتناقضات والمحكوم بالتصرفات الانسانية، الخادعة، والمشاكسة، والسلبيات وما اكثرها في اعماله. ومن هنا كان الروائي قادرا عبر الامساك بتلابيب العمل الروائي والسرد على تمرير رسالته عبر شخوصه وبشكل خفي. في قراءة منجز نجيب محفوظ لا بد من الاشارة الى انتعاش الفن الروائي، باعتباره الادب الذي جاء متأخرا، تظهر ريادية الاديب العربي المصري، فاقبال العرب على قراءة الرواية وكتابتها حتى في مناطق لم يكن فيها اي مجال لولادة فعل روائي، صورة عن عمق المنجز المحفوظي في الادب العربي، وعليه فسيظل محفوظ الرائد الذي ادخل الرواية الى عالم كان يتمايل امام القاء وبلاغة الشعراء.

وهو وان اعاد للقاهرة مجدها الادبي فقد اعاد للرواية بلاغتها في عالم تأسره الكلمة الحماسية والجميلة. كل هذا لانه آمن بان الرواية باعتبارها مخلوقا حداثيا قادرة على التعبير عن مأساة الانسان المعاصر في عالم التكنولوجيا والالة. في اعماله الاخيرة، حاول نجيب محفوظ العودة الى موضوعات تراثية مثل «ليالي الف ليلة وليلة» (1982) و«رحلة ابن فطوطة» (1983)، حيث يخوض الابطال في عوالم فتنازية خيالية تنتهي بالعودة للواقع المر.

---

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

نجيب محفوظ: سيرة ذاتية

- ولد محفوظ في حي الجمالية، القاهرة يوم 11 كانون الاول (ديسمبر) عام 1911 لاسرة تعمل بالتجارة رزقت بستة ابناء.

- بعد تحسن الاوضاع الاقتصادية لعائلته اثر عمل والده بالتجارة وتركه وظيفته البسيطة انتقلت العائلة الى ضاحية العباسية التي كانت في تلك الفترة مقصد العائلات من الطبقة المتوسطة وفيها درس الثانوية العامة في مدرسة فؤاد الاول.

- حصل على شهادته الجامعية من كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول (القاهرة الآن) من قسم الفلسفة عام 1934 في سن الثالثة والعشرين.

- بدأ حياته وهو طالب بالجامعة محررا في مجلة (المجلة الجديدة) التي كان يصدرها الكاتب المصري سلامة موسى.

ونشر أول مقال له في تشرين الاول (اكتوبر) 1930 بعنوان «احتضار معتقدات وتولد معتقدات».

- اصدر اول اعماله «مصر القديمة» عام 1932 اتبعها بمجموعته القصصية «همس الجنون» في 1938.

- نشرت رواية محفوظ الاولى «عبث الاقدار» عام 1939.

- توجه بعد ذلك الى كتابة ثلاثية استلهمت التراث الفرعوني في نوع من الاسقاط التاريخي على المرحلة السياسية التي سادت مصر في تلك الفترة هي روايات «عبث الأقدار» (1939) و «رادوبيس» (1943) و«كفاح طيبة» (1944).

- في الفترة ما بين 1949 و 1956 اتجه الى كتابة سيناريو الافلام وكان بذلك اول اديب يقوم بخطوة من هذا النوع. وكان اول سيناريو قام بكتابته «مغامرات عنتر وعبلة» (1945).

- كتب سيناريو عن روايات احسان عبد القدوس مثل «الطريق المسدود» و«انا حرة» الى جانب افلام «ذات الوجهين» و «لك يوم يا ظالم» و«رية وسكينة» و«الوحش» و«شباب امرأة» و«الفتوة» و «بين السما والارض» و«احنا التلامذة» و«النمرود» و«درب المهابيل» و«فتوات الحسينية» و «الهاربة».

- بعد تخرجه عمل نجيب محفوظ في وزارة الاوقاف ثم بعد تولي الضباط الاحرار السلطة عمل رئيسا للرقابة على المصنفات الفنية في 1959 ورئيسا لمؤسسة السينما وفيما بعد عضوا في المجلس الاعلى للثقافة.

- توج محفوظ اعماله بثلاثية جعلته علما من اعلام الرواية العربية وأحد اهم روادها ومؤسسي حداثتها، اخذت عناوين اجزائها من اسماء حارات في القاهرة الفاطمية «بين القصرين» و«قصر الشوق» و«السكرية».

- في عام 1959 اعترض مسؤولون في الازهر على رواية «اولاد حارتنا». ونشرتها صحيفة الاهرام القاهرية كاملة رغم اعتراض عدد من رموز التيارات المصرية المحافظة ولم تطبع الرواية في كتاب داخل مصر الى الآن. لكن الكاتب اللبناني سهيل ادريس نشر «أولاد حارتنا» في دار الاداب البيروتية التي يملكها وظلت النسخ تصل الى من يريد قراءتها في مصر بدون اثارة أزمات.

- لم يسافر محفوظ خارج مصر الا نادرا وكان يكتب كل كتاباته بالقلم الحبر او الرصاص.

- في عام 1988 اصبح محفوظ الكاتب العربي الوحيد الحاصل على جائزة نوبل للاداب وتسلمتها نيابة عنه ابنتاه لعدم رغبته في السفر.

- في عام 1994 تعرض محفوظ لمحاولة اغتيال وطعن بالسكين لكن الشاب الذي دفعه متشددون اسلاميون لتنفيذ الجريمة أصاب الرقبة وترك الحادث أثره على يده اليمنى بعد ان اصاب السكين عصبا ومكث في المستشفى سبعة اسابيع كما اثر الحادث على برنامجه اليومي اذ اضطر للاستجابة لالحاح أجهزة الامن المصرية فلازمه أحد الحراس لحمايته.

- كان محفوظ احد اكثر الادباء العرب انتشارا في العالم حيث ترجمت اعماله الى اكثر من 33 لغة.

- ترك محفوظ وراءه ست مسرحيات ايضا.

- توقف محفوظ عن الكتابة بعدما هاجمه اسلامي وطعنه في رقبته في 1994 الا انه في السنوات الثلاث الاخيرة كان يكتب قصصا قصيرة اطلق عليها اسم «احلام فترة النقاهة».

- حصل على مجموعة من الجوائز المحلية منها ما كان في مطلع حياته مثل جائزة قوت القلوب عن رواية «رادوبيس» في 1945 وجائزة وزارة المعارف عن رواية «كفاح طيبة» في 1945 وجائزة مجمع اللغة العربية عن «خان الخليلي» في 1947.

- منح في 1958 جائزة الدولة التشجيعية في الآداب من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ثم في 1962 وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى وفي 1970 جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس نفسه ومنح في 1971 وسام الجمهورية من الدرجة الاولى.

- وكانت اخر الجوائز التي حصل عليها بعد نوبل جائزة مبارك في الاداب عن المجلس الاعلى للثقافة عام 1991.

- تزوج نجيب محفوظ عام 1945 وله ابنتان.

- توفي في 30 آب (اغسطس) 2006.

رحل المعلّم نجيب محفوظ

رشاد أبوشاور

وأخيراً رحل المعلّم نجيب محفوظ، هرم الرواية العربيّة، بعد عمر امتدّ 95 عاماً، رغم معاناته مع مرض (السكريّ)، وطعنة الجهل التي أعاقت يده عن الكتابة.

قبله كتبت روايات متفرّقة، ولم يوجد روائيون، ولكن بعده ولدت أجيال من الروائيين، فهو المعلّم الباني لنهضة الرواية العربيّة، ومطوّر فنّ الرواية، والمجدد الذي بزّ أجيال الشباب الذين جاءوا بعده، في زمن تطوّر الرواية في الغرب، قاطعاً رحلة ابتدأت بالرواية لتاريخية، ثمّ بالرواية الواقعية (الثلاثيّة)، فالرواية النفسيّة (السراب)، فالرواية الحديثة بالبناء غير المسبوق حتى عالميّاً بحسب ما أعرف (المرايا) التي كتبها وفقاً للحروف الأبجديّة كاسراً الشكل التقليدي، بحيث يشارك القارئ الحصيف طويل البال بإعادة تركيب أحداث الرواية كما لو أنها لعبة (جيغزو)، وبناء العلاقات بين شخصيّاتها، فالرواية الملحميّة (الحرافيش) باستلهام الشكل العربي للقصّ والذي ابتدأه برواية (ليالي ألف ليلة)، فالسيرة الروحيّة الشعريّة القصصيّة ...

نجيب محفوظ كتب القصّة القصيرة الواقعيّة (دنيا الله)، والفنتازيا، والقصّة اللامعقولة (تحت المظلّة)، والقصّة القصيرة المكثّفة المشحونة المكتنزة بفكرة فلسفيّة عميقة. محفوظ ككاتب قصّة قصيرة يقف في مقدّمة كتّابها، وعطاؤه فيها لم يحظ باهتمام النقّاد والدارسين لأسباب منها علو قامته الروائيّة، وانحياز بعضهم ليوسف إدريس تحديداً، وعدم الاهتمام حتى بيحي حقّي، ومحمود بدوي، ويوسف الشاروني ...

ذات يوم كنّا نتسكّع في شارع (سليمان باشا)، أنا وأحمد دحبور، فرأيته يقف على الرصيف، يهمّ بعبور الشارع للانتقال للطرف المقابل، وهو يرسل نظراته متأملاً الجموع في حركتها، وتزاحمها، واندفاعها ...

همست لأحمد:

ـ والله يا أحمد سوف (يلدعها) ذات يوم ...

(ويلدعها بلهجتنا الريفيّة العتيقة يعني سيأخذها، أي جائزة نوبل).

في مقهى (ريش) التقينا بالمعلّم نجيب محفوظ، كنّا: أمل دنقل، ودحبور، وأنا، وكالعادة بعض الكتّاب المصريين، ولكنه أولانا اهتماماً خاصّاً، لأنه كما يبدو رغب في سماع آراء كتّاب (شوام) في إبداعه، ومدى اهتمامهم بأعماله الروائيّة والقصصية، وتأثيرها عليهم ...

استذكرنا معه (رسالة) صديقنا محمود موعد القّاص الفلسطيني، الذي كانت منحته جامعة (السوربون) في باريس شهادة الدكتوراة عن (رحلة الإيمان في روايات نجيب محفوظ) فأثنى على الرسالة، وأخبرنا أنه اطّلع عليها باللغة الفرنسيّة التي يقرأ بها، وإن بدرجة أقلّ إتقاناً من اللغة الإنكليزيّة.

ذات يوم، في الصباح المبكّر، وكنّا نعيش في العاصمة التونسيّة، أيقظني رنين الهاتف، فوجف قلبي لأنني توقعت خبراً سيئاً، فإذا بصوت أحمد دحبور يلعلع في الهاتف:

ـ نجيب محفوظ لدعها ...

ولأنني نسيت (المفردة) ومناسبتها، فقد سألته بين النوم واليقظة، وقد هدأ خاطري قليلاً:

ـ شو يعني لدعها ؟!

صاح مستغرباً:

ـ أنسيت أنك قلت: سيلدعها ؟ نوبل يا بني آدم، لدع نوبل، تهانينا ...

نعم: لدعها ...

في الصباح، وقد التقينا في دائرة الإعلام والثقافة في شارع (أبو لبابة الأنصاري)، قلت لدحبور:

ـ أتمنّى من الله أن يعيش سنتين ثلاث، حتى يفرح بالجائزة، و..تنكسر عقدتنا منها، فهو كبير عمراً، إنه في السابعة والسبعين تقريباً ...

ثمّ ها هو قد عاش حتى بلغ الخامسة والتسعين، ومنحت بعده لأكثر من خمسة عشر كاتباً وكاتبة، رغم الاعتداء الآثم عليه من أحد الجهلة المضللين ...

نجيب محفوظ الكبير قيمةً، إبداعاً، وعمراً، وإنسانيّة يرحل كبيراً، تاركاً لنا تراثاً روائيّاً كبيراً ...

بعض الكتّاب الشباب ـ قبل ثلاثين سنة ـ أثاروا جلبةً وصخباً مفتعلاً، مدّعين أن نجيب محفوظ يقف عقبةً في طريقهم، وطريق تطوير الرواية، وهم بهذا، كونهم كسالى، قلبوا الحقيقة، فنجيب محفوظ، راد طرقاً لم تألفها الرواية العربيّة، وفتح آفاقاً لا حدود لها، وسبقهم في التجديد...

هناك من شككوا بأسباب منح نوبل لمحفوظ، وأعادوها للسياسة، ومواقفه التي تناغمت مع (السادات) وخطابه السياسي، ومعهم حقّ، ولكن نجيب محفوظ كان يستحقّ (نوبل) قبل سنوات من رحلة (السادات المشؤومة)، والعيب أولاً يلحق بجائزة نوبل غير المنزّهة عن الهوى، والتوجّه السياسي، وحتى التصهيّن ...

في مرحلة ما، وجد روائيون ثبت أنهم قليلو الأهميّة، ومع ذلك فقد حظوا باهتمام أكبر من محفوظ، أقصد تحديداً: يوسف السباعي، وإحسان عبد القدّوس، ولكن أهميتهما قلّت، وماتت روايتهما قبل موتهما، فهما كانا يكتبان حكايات تصلح للسينما، ولم يكونا يبدعان فناً روائياً يبقى محتفظاً بقيمته، ملهماً للأجيال، يقدّم معرفة، ومتعة قصّ كثيراً ما تبهر، وهو ما يحيّر في موهبة هذا الروائي الكبير الممتلئ الروح والعقل بأسرار شعبه، وحياته، ومكوناته الاجتماعية، وبالقدرة على تتبّع تطوّره، وحراكه الاجتماعي، ومنظومة قيمه وما يطرأ عليها.

لفرط إقليميّته المصرية فقد نفر من جمال عبد الناصر (العربي)، رغم اعترافه بأنه لم يمنع من الكتابة في زمنه، ولم يعاقب على النقد الصريح في بعض قصصه للتجربة (الناصرية)، وبقي يكتب في (الأهرام) برعاية من رئيس تحريرها الكبير محمّد حسنين هيكل، والمقرّب جداً من الرئيس عبد الناصر، ومع ذلك فهو لم يدخل عبد الناصر (الجنّة) في روايته (أمام العرش) إلاّ في آخر الرواية، وبعد ركنه وحده من بين كلّ حكّام مصر منذ الزمن الفرعوني حتى زمن السادات !.

لم يرحم نجيب محفوظ (السادات) رغم تأييده لصفقة السلام التي عقدها مع (إسرائيل)، فهو انتقد السادات بحدّة وسخر منه في روايته (يوم قتل الزعيم)، واصفاً إيّاه بأنه:

ـ الزي زي هتلر، والفعل شارلي شابلن...

هذا هو السادات الذي تكشّف عن أنه ليس قائداً تاريخيّاً، ولكنه (مهرّج) جرّ الخراب على المجتمع المصري بسياسة الانفتاح التي سلكها، وتشريعه أبواب مصر، وما جرى من سياسة نهب وإفقار أنهكت المجتمع المصري ودمّرت علاقاته الاجتماعيّة.

دائماً احترمت هذا الكاتب الكبير، الذي ظلّ كبيراً في إبداعه الروائي والقصصي، وإن اختلفت معه في بعض مواقفه السياسيّة، وأحسب أن هناك من يشاركني رأيي، لأنني أرى بأن ما يبقى من محفوظ هو إبداعه الأدبي، ودوره الريادي، مع عدم إسقاط المآخذ السياسية عليه، يرحمه الله ...

أعمال نجيب محفوظ:

في ما يلي اهم اعمال الروائي المصري:

الروايات:

- عبث الاقدار (1939)
- رادوبيس (1943)
- كفاح طيبة (1944)
- خان الخليلي (1945)
- القاهرة الجديدة (1946)
- زقاق المدق (1947)
- السراب (1949)
- بداية ونهاية (1951)
- بين القصرين (1956)
- قصر الشوق (1957)
- السكرية (1957)
- اولاد حارتنا (1959)
- اللص والكلاب (1961)
- السمان والخريف (1962)
- الطريق (1964)
- الشحاذ (1965)
- ثرثرة فوق النيل (1966)
- ميرامار (1967)
- المرايا (1971)
- الحب تحت المطر (1973)
- الكرنك (1974)
- حكايات حارتنا (1975)
- قلب الليل (1975)
- حضرة المحترم (1975)
- ملحمة الحرافيش (1977)
- عصر الحب (1980)
- افراح القبة (1981)
- ليالي الف ليلة وليلة (1982)
- الباقي من الزمن ساعة (1982)
- امام العرش (1983)
- رحلة ابن فطوطة (1983)
- التنظيم السري (1984)
- العائش في الحقيقة (1985)
- يوم مقتل الزعيم (1985)
- حديث الصباح والمساء (1987)
- صباح الورد (1987)
- قشتمر (1988)

القصة القصيرة

- همس الجنون (1948)
- دنيا الله (1963)
- بيت سيىء السمعة (1965)
- خمارة القط الاسود (1969)
- تحت المظلة (1969)
- حكاية بلا بداية ولا نهاية (1971)
- شهر العسل (1971)
- الجريمة (1973)
- الحب فوق هضبة الهرم (1979)
- الشيطان يعظ (1979)
- رأيت فيما يرى النائم (1982)
- الفجر الكاذب (1988)

بعض الافلام المقتبسة عن الاعمال الادبية لنجيب محفوظ

1 – «الوحش» (1954 للمخرج صلاح ابو سيف)
2 – «فتوات الحسينية» (1954 صلاح ابو سيف)
3 – «درب المهابيل» (1955 توفيق صالح)
4 – «بين السماء والأرض» (1959 صلاح ابو سيف)
5 – «بداية ونهاية» (1960 صلاح ابو سيف)
6 – «اللص والكلاب» (1962 كمال الشيخ)
7 – «زقاق المدق» (1963 حسن الامام)
8 – «الطريق» (1964 حسام الدين مصطفى)
9 – «بين القصرين» (1964 حسن الامام)
10 – «القاهرة 30» (1966 صلاح ابو سيف)
11 – «خان الخليلي» (1966 عاطف سالم)
12 – «السمان والخريف» 1967 (حسام الدين مصطفى)
13 – «قصر الشوق» (1967 حسن الامام)
14 – «ثلاث قصص» (1968 كمال الشيخ وحسن الامام)
15 – «ميرامار» (1969 كمال الشيخ)
16 – «السراب» (1970 انور الشناوي)
17 – «الاختيار» (1971 يوسف شاهين)
18 – «ثرثرة فوق النيل» (1971 حسين كمال)
19 – «صور ممنوعة» (1972 مجموعة مخرجين منهم مذكور ثابت ومحمد عبد العزيز واشرف فهمي)
20 – «السكرية» (1973 حسن الامام)
21 – «الشحات» (1973 حسام الدين مصطفى)
22 – «الحب تحت المطر» (1975 حسين كمال)
23 – «الكرنك» (1975 علي بدرخان)
24 – «المذنبون» (1976 حسين كمال)
25 – «المجرم» (1978 سعيد مرزوق)
26 – «الشريدة» (1980 اشرف فهمي)
27 – «الشيطان يعظ» (1981 اشرف فهمي)
28 – «أهل القمة» (1981 على بدرخان)
29 – «فتوات بولاق» (1982 يحيى العلمي)
30 – «وكالة البلح» (1982 حسام الدين مصطفى)
31 – «الخادمة» (1984 اشرف فهمي)
32 – «ايوب» (1984 هاني لاشين)
34 – «المطارد» (1985 سمير سيف)
35 – «دنيا الله» (1985 حسن الامام)
36 – «شهد الملكة» (1985 حسام الدين مصطفى)
37 – «التوت والنبوت» 1986 (نيازي مصطفى)
38 – «الحب فوق هضبة الهرم» (1986 عاطف الطيب
39 – «عصر الحب» (1986 حسن الامام)
40 – «الحرافيش» (1986 حسام الدين مصطفى)
41 – «الجوع» (1986 على بدرخان)
425 – «وصمة عار» (1986 اشرف فهمي)
43 – «اصدقاء الشيطان» (1988 احمد ياسين)
44 – «قلب الليل» (1989 عاطف الطيب)
45 – «ليل وخونة» (1990 اشرف فهمي)
46 – «نور العيون» (1991 حسين كمال)
47 – «سماره الأمير» (1992 احمد يحيى)

مسرحيات اقتبست عن روايات وقصص نجيب محفوظ:

1 – «زقاق المدق» (المسرح الحر 1958)
2 – «بداية ونهاية» (المسرح القومي 1960)
3 – «بين القصرين» (المسرح الحر 1960)
4 – «قصر الشوق» (المسرح الحر 1961)
5 – «خان الخليلي» (المسرح الحر 1963)
6 – «همس الجنون» (المسرح الحديث 1964)
7 – «ميرامار» (المسرح الحر 1969)
8 – «تحت المظلة» (مسرح الجيب 1969)